التواشيح وقرآن

الفجر والجمعة

كتبه /

أبو حمزة محمد بن عبد العليم الماضي

-غفر اللّٰه له -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله الأمين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فإن الله تبارك وتعالى أمرنا باتباع كتابه وسنه نبيهﷺ، فقال:(اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ)، وقال: (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)، وقال لنبيهﷺ : (اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)، وقال :(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)، وغيرها من الآيات في هذا المعنى كثير.

وقد أمرنا نبيناﷺ كذلك باتباع سنته وترك البدع والمحدثات، فقال: "إنه من يعش منكم فسيري اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة" رواه أبوداود والترمذي وغيرهما.

وقال :"من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد " متفق عليه، وفي رواية لمسلم: " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " يعني: عمله مردود غير مقبول عند الله ﷻ.

وكان ﷺ يفتتح خطبته بقوله:" أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة "؛

فيجب على كل مسلم اتباع هدي النبي ﷺ واقتفاء أثره في عبادته وأعماله وأقواله، وترك البدع والمحدثات التي غيَّرت دين الإسلام.

ومن تلك البدع التي انتشرت في بلاد المسلمين – خصوصاً في مصر – بدعة التواشيح (الابتهالات)، وبدعة تلاوة القرآن بطريقة التلحين (التجويد) قبل الصلوات، خصوصاً قبل صلاتي الفجر والجمعة، ويسمون ذلك بشعائر صلاة الفجر!!، وشعائر صلاة الجمعة!!

وهذه الأعمال ليست من سنة النبي ﷺ ، ولا من فعل أصحابه، ولا فعل أئمة المسلمين بل هي من البدع المحدثة التي حرمها الله ورسوله؛ فأردت أن أبين أدلة حرمتها وشيئاً من مفاسدها (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ)، والله الموفق للصواب.

فأقول أولاً : بدعة التواشيح (الابتهالات) التى أحدثها الصوفية وفساق القراء :–

التواشيح: جمع توشيحة وهي نوع من الشعر الزهدي المنغم، وكان أول ظهوره في بلاد الأندلس الإسلامية(إيطاليا وإسبانيا وما حولها) على يد عُبَّاد الصوفية، وهو ما يسمى عندهم بالسماع، يرققون به القلوب كما يزعمون ثم انتشرت هذه التواشيح على يد العُبيديين (الذين يسمون بالفاطميين كذباً وزوراً) الذين ملكوا غالبية بلاد المسلمين؛ فرتَّبوا لهذه القصائد القرَّاء والمنشدين على المنائر، وفي المساجد لإيقاظ الناس قبل صلاة الفجر ثم توسع الصوفية في ذلك، فصارت التواشيح نظاماً(فناً!) مستقلاً يستخدم في سائر المناسبات الدينية !!

بل خصصت القنوات الفضائية للمنشدين بل والمنشدات ينشرون فنهم ! ليل نهار.

وهذه التواشيح الصوفية من البدع المحدثات لعدة أمور منها:

١-أنها بدعة في الدين لم تكن على عهد النبي ﷺ ولا أمر بها، وفي الحديث "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد "، و"كل محدثة بدعة" .

فلا يجوز لأحد أن يحدث في الدين ما ليس منه؛ فمن فعل ذلك فوزره عظيم عند الله تعالى، وعمله مردود غير مقبول .

٢-أنها من دين الصوفية الباطل ويسمونها السماع ويفضلونه على سماع القرآن الكريم كما قرر ذلك الغزالي في (إحياء! علوم الدين)، وبين فضل السماع الصوفي على سماع القرآن من وجوه كثيرة!، ذكرها في كتابه.

وقد حذَّر أئمة المسلمين من هذا السماع المبتدع كما قال الإمام الشافعي -رحمه الله - :" خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن."

وهذا من كمال معرفة الشافعى وعلمه بالدين فإن القلب إذا تعود سماع القصائد والأبيات والتذ بها حصل له نفور عن سماع القرآن والآيات فيستغنى بسماع الشيطان عن سماع الرحمن.

والتغبير أن ينشد أحدهم قصيدة زهدية، فيضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطع أو مخدة على إيقاع غنائه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (الفتاوى الكبرى ٣٧٥/٢):" وأما ما ذكر من السماع؛ فالمشروع الذي تصلح به القلوب، ويكون وسيلتها إلى ربها بصلة ما بينه وبينها، هو سماع كتاب الله الذي هو سماع خيار هذه الأمة، لا سيما، وقد قال ﷺ: "ليس منا من لم

يتغن بالقرآن" وقال: "زينوا القرآن بأصواتكم"، وهو السماع الممدوح في الكتاب والسنة لكن لما نسي بعض الأمة حظاً من هذا السماع الذي ذُكِّروا به ألقي بينهم العداوة والبغضاء؛ فأحدث قوم سماع القصائد والتصفيق والغناء مضاهاة لما ذمه الله من المكاء والتصدية والمشابهة لما ابتدعه النصارى، وقابلهم قوم قست قلوبهم عن ذكر الله وما نزل من الحق وقست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة مضاهاة لما عابه الله على اليهود، والدين الوسط هو ما عليه خيار هذه الأمة قديماً وحديثاً، والله أعلم."

وقال (جامع المسائل٣/٣٨٩):" الضرب بالقضيب على المخاد هو التغبير الذي قال فيه الشافعي: خلفتُ ببغداد شيئًا أحدثتْه الزنادقة يُسمونَه التغبيرَ يَصُدُّون به الناس عن القرآن، ويذكر فيه عن الإمام أحمد وغيره من الأئمة، ونهوا الناس عن الحضور معهم، وكان الذين يحضرونه أهل زهد وعبادة ودين، يحضرونه لما فيه من التزهيد والترقيق وتحريك القلوب بالحبّ والحزن والخوف ونحو ذلك، فعدَّه الأئمة من البدع المحدثة في الإسلام، لأن الله إنما شرع للمسلمين سماعَ القرآن، فهو سماعُ النبيين والعالِمين والعارفين والمؤمنين، كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه...."

٣-الصلاة عبادة لله تعالى ويجب في العبادة شرطان :

الإخلاص لله تعالى، ومتابعة سنة النبي ﷺ

والتواشيح ليست من السنة، وإنما هي من البدع المحدثات، فلا يشرع فعلها لأحد.

٤-أمرنا النبي ﷺ بالاقتداء به في سائر العبادات، ومنها الصلاة، فقال: "صلوا كما رأيتموني أصلي "، وهذا يشمل أوقات الصلاة وكيفيتها وانتظارها كما في الحديث: "وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط ،فذلكم الرباط........ "

والتواشيح قبل الصلاة، وكذا تلاوة القرآن لم يفعلها النبي ﷺ ولا أصحابه من بعده؛ ففعلها مخالفة لهديه وترك لأمره باتباعه في الصلاة .

٥-التواشيح تصد المسلمين عن كتاب الله جل وعلا، فما من أحد يستمع لها إلا وهو يطرب بها ويتأثر ويحب سماعها أكثر من سماع كتاب الله جل وعلا، وهذا حال الصوفية وأهل الأهواء، وأما حال أهل العلم والإيمان؛ فالقرآن شفاء لصدورهم، وهداية لها، ولو صفت القلوب ما شبعت من كلام الله، ولنفرت من كلام المنشدين وألحانهم وتمطيط أصواتهم، والله ﷻ يقول في وصف عباده المؤمنين: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-(اقتضاء الصراط المستقيم ٦٩/١١):

"ولذا تجد مَن أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن، حتى ربما كرهه، ومن أكثر من السفر إلى زيارات المشاهد ونحوها لا يبقى لحج البيت الحرام في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة، ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه

في قلبه ذاك الموقع، ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام، ونظير هذا كثير.

ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ: " ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع الله عنهم من السنة مثلها " رواه الإمام أحمد.)

٦-إنشاد هذه التواشيح الصوفية في المساجد بدعة، فلم يكن من هديه ﷺ اتخاذ منشدٍ في مسجده، ولم يأمر بشيء من ذلك ولا استحبه، ولا فعله أصحابه من بعده؛ فمن فعله فقد خالف هدي النبي ﷺ وسنته وفي الحديث "فمن رغب عن سنتي فليس مني"

٧-في التواشيح تشويش على المصلين في المسجد، وإفساد لعبادتهم لأن كثيراً منهم يريد أن يصلي أو يذكر الله أو يقرأ القرآن؛ فإذا قام المنشد بالصراخ والتهليل ورفع صوته بالابتهالات أفسد على الناس عبادتهم وشوش عليهم، وهذا المبتهل يفسد ويؤذي غيره من المسلمين سواءً كان موجود بنفسه في المسجد أو كان عبر المذياع(الراديو)، وفي الحديث أن الصحابة اعتكفوا مع النبي ﷺ فسمعهم يرفعون أصواتهم بالقراءة، فقال:" أَلاَ إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ فَلاَ يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَلاَ يَرْفَعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِى الْقِرَاءَةِ."رواه أبوداود وأحمد وغيرهما.

فمنعهم من رفع الصوت في تلاوة القرآن، فما بالك بإنشاد القصائد والبدع التي ما أنزل الله به من سلطان؟!

علماً بأن كثيراً من هذه الابتهالات فيها أصناف من ألفاظ الشرك والبدع كالاستغاثة بغير الله وطلب المدد من الأنبياء والصالحين والاستشفاع بهم، وكذا مخاطبة الأيام

والشهور كقولهم: رمضان يا رمضان..، وطلب الشفاعة من النبيﷺ ودعائه والشكوى إليه، وغيرها من البدع والشركيات التي تخالف المعلوم من دين الإسلام بالضرورة.

٨-في إنشاد التواشيح بالمسجد رفعٌ للصوت، وهتك لحرمة المسجد، وهذا منهيٌ عنه، وقد ذم الله الكفار لأنهم يرفعون أصواتهم بالصفير والتصفيق في البيت الحرام فقال: { وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } وفي الحديث "إذا أتيتم الصلاة فأتوها وعليكم السكينة" .

٩-التواشيح قبل صلاة الفجر تزعج المسلمين وتؤذي المرضى وكبار السن والنساء (ممن لا تجب عليهم صلاة الجماعة)

لاسيما ومكبرات الصوت تملأ البلاد بالأصوات المزعجة حتى يؤدي ذلك إلى اختلاط المنشدين، وعدم فهم كلامهم، وقد نهى النبي ﷺ عن إضرار المسلمين فقال " لا ضرر ولا ضرار "

ومن المعلوم أن الله تبارك وتعالى فرض الصلاة عند دخول وقتها ولم يأمر أحداً بها إلا بعد دخول الوقت، فقال: { إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا } (يعني: فرضاً محدداً بوقت)

وهؤلاء أوجبوا على الناس –جهلاً منهم – الاستيقاظ لصلاة الفجر قبل وقتها بساعة أو اقل بما يفعلونه من شعائرهم المبتدعة، ولو كانت هذه الأعمال خيراً لفعلها النبي ﷺ أو فعلها أصحابه من بعده بل قد ورد إنكار أئمة المسلمين لبدعٍ أقل من هذه الابتهالات بكثير.

قال الشاطبي في الاعتصام (٥٦٦) :

"وَحَكَى ابْنُ وَضَّاحٍ قَالَ: ثَوَّبَ الْمُؤَذِّنُ بِالْمَدِينَةِ فِي زَمَانِ مَالِكٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَالِكٌ فَجاءَهُ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: مَا هَذَا الَّذِي تَفْعَلُ؟ فَقَالَ: أَرَدْتُ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ طُلُوعَ الْفَجْرِ فَيَقُومُونَ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: لَا تَفْعَلْ، لَا تُحْدِثْ فِي بَلَدِنَا شَيْئًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ، قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺبِهَذَا الْبَلَدِ عَشْرَ سِنِينَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَلَمْ يَفْعَلُوا هَذَا، فَلَا تُحْدِثْ فِي بَلَدِنَا مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَكَفَّ الْمُؤَذِّنُ عَنْ ذَلِكَ وَأَقَامَ زَمَانًا، ثُمَّ إِنَّهُ تَنَحْنَحَ فِي الْمَنَارَةِ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَالِكٌ فَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي تَفْعَلُ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ طُلُوعَ الْفَجْرِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ أَنْهَكَ أَنْ لَا تُحْدِثَ عِنْدَنَا مَا لَمْ يَكُنْ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا نَهَيْتَنِي عَنِ التَّثْوِيبِ، فَقَالَ لَهُ: لَا تَفْعَلْ. فَكَفَّ زَمَانًا، ثُمَّ جَعَلَ يَضْرِبُ الْأَبْوَابَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مَالِكٌ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي تَفْعَلُ؟ فَقَالَ: أَرَدْتُ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ طُلُوعَ الْفَجْرِ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: لَا تَفْعَلْ، لَا تُحْدِثْ فِي بَلَدِنَا مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ.

قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: وَكَانَ مَالِكٌ يَكْرَهُ التَّثْوِيبَ ــ قَالَ ــ وَإِنَّمَا أَحْدَثَ هَذَا بِالْعِرَاقِ. قِيلَ لــ ابْنِ وَضَّاحٍ: فَهَلْ كَانَ يُعْمَلُ بِهِ بِمَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةِ أَوْ مِصْرَ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْأَمْصَارِ؟ فَقَالَ: مَا سَمِعْتُهُ إِلَّا عِنْدَ بَعْضِ الْكُوفِيِّينَ وَالْإِبَاضِيِّينَ.

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ مَنَعَ مَالِكٌ مِنْ إِحْدَاثِ أَمْرٍ يَخِفُّ شَأْنُهُ عِنْدَ النَّاظِرِ فِيهِ بِبَادِئِ الرَّأْيِ وَجَعْلِهِ أَمْرًا مُحْدَثًا، وَقَدْ قَالَ فِي التَّثْوِيبِ: إِنَّهُ ضَلَالٌ، وَهُوَ بَيِّنٌ، لِأَنَّ:

«كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» وَلَمْ يُسَامِحْ لِلْمُؤَذِّنِ فِي التَّنَحْنُحِ وَلَا فِي ضَرْبِ الْأَبْوَابِ، لِأَنَّ ذَلِكَ جَدِيرٌ بِأَنْ يُتَّخَذَ سُنَّةً، كَمَا مَنَعَ مِنْ وَضْعِ رِدَاءِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ خَوَّفَ أَنْ يَكُونَ حَدَثًا أَحْدَثَهُ.

وَقَدْ أَحْدَثَ بِالْمَغْرِبِ الْمُتَسَمَّى بِالْمَهْدِيِّ تَثْوِيبًا عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَهُوَ قَوْلُهُمْ أَصْبَحَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ إِشْعَارًا بِأَنَّ الْفَجْرَ قَدْ طَلَعَ، لِإِلْزَامِ الطَّاعَةِ، وَلِحُضُورِ الْجَمَاعَةِ، وَلِلْغَدِ وَلِكُلِّ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ. فَيَخُصُّهُ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرُونَ تَثْوِيبًا بِالصَّلَاةِ كَالْأَذَانِ. وَنَقَلَ أَيْضًا إِلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ الْحِزْبَ الْمُحْدَثَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَهُوَ الْمُعْتَادُ فِي جَوَامِعِ الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهَا، فَصَارَ ذَلِكَ كُلُّهُ سَنَةً فِي الْمَسَاجِدِ إِلَى الْآنَ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَقَدْ فُسِّرَ التَّثْوِيبَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ مَالِكٌ بِأَنَّ الْمُؤَذِّنَ كَانَ إِذَا أَذَّنَ فَأَبْطَأَ النَّاسُ، قَالَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ: قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَّاحِ. وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِمْ عِنْدَنَا: الصَّلَاةُ ــ رَحِمَكُمُ اللَّهُ.

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ أَنَّهُ دَخَلَ مَسْجِدًا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ، فَثَوَّبَ الْمُؤَذِّنُ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: اخْرُجْ بِنَا مِنْ عِنْدِ هَذَا الْمُبْتَدَعِ وَلَمْ يَصُلِّ فِيهِ." اهــ

فتأمل أيها القارئ الكريم نهي الإمام مالك عن إحداث شيء قبل الآذان ولو كان الغرض منه تنبيه الناس للصلاة بل ولو كان ذلك بالنحنحة !!

فما بالك بالصراخ والتهليل والابتهالات المبتدعة بل وباستخدام مكبرات الأصوات المزعجة ؟؟!!

وفي هذه القصة أيضاً دليل على أنه لم يكن في عهد الإمام مالك بن أنس بالمدينة النبوية أي نوع من التواشيح أو الابتهالات أو تلاوة القرآن قبل آذان الفجر؛ فدل هذا على أن ذلك كله من البدع المحدثات التي لم تكن في عهد النبيﷺ ولا أصحابه ولا أئمة المسلمين، والله الموفق للصواب .

أما بالنسبة لتلاوة القرآن بطريقة التلحين (التجويد) قبل صلاتي الفجر والجمعة، فهذه بدعة انتشرت في بلاد المسلمين بسبب الصوفية وفساق القراء الذين يتأكلون بالقرآن، ويشترون به ثمناً قليلاً، ويطلبون به عرض الدنيا، وفي الحديث " من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة "(رواه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والحاكم ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة)

وهذه البدع التي يسموها(الشعائر) ليست من سنة النبي ﷺ ولا من فعل أصحابه بل قد نشرها وسائل الإعلام الصوفية، وطارت بين العوام بسبب جهلهم بسنة النبي ﷺ وفي هذه البدع محظورات كثيرة :

١-لم يرد عن النبي ﷺ أنه وظّف قارئاً قبل الصلاة يقرأ أمام الناس، والتلاوة في هذا الموطن عبادة؛ فإذ لم يفعلها النبي ﷺ ففعلها بدعة لقوله ﷺ :"تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك "، وقوله: " تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي"، وليس في الكتاب والسنة شيء من هذه الأفعال، فدل على أنها بدعة ضلالة .

٢- تلاوة القرآن في هذا الوقت ليس من سنة النبي ﷺ بل السنة الاستغفار كما قال الله تعالى في وصف عباده المتقين: {كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }، وفي الحديث أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الليل أسمع ؟ فقال: جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة إلى طلوع الشمس... الحديث"رواه أبوداود والنسائي والترمذي، وفي الصحيح:" ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له حتى يطلع الفجر."

فهؤلاء القراء يشغلون الناس عن السنة وينشرون البدعة بينهم.

٤- تلاوة القرآن قبل الفجر وكذا التواشيح قد أشغلت الناس عن إقامة سنة أخرى من سنن النبي ﷺ ألا وهي الآذان الأول؛ فمن سنته ﷺ أنه كان يؤذن قبل الفجر أذانين كما في الصحيحين واللفظ لمسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مُؤَذِّنَانِ بِلَالٌ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ بِلَالًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ» قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ هَذَا وَيَرْقَى هَذَا.

فانشغل الناس بإحياء هذه البدع (التواشيح والتلاوة) عن فعل السنة وتطبيقها حتى صارت السنة غريبة في ديار المسلمين، وأصبحت البدعة معروفاً، والسنة منكراً بسبب الجهل واتباع الأهواء؛ فانظر وتأمل أيها المسلم كم مسجد في بلادنا يؤذن الآذان الأول قبل الفجر ؟؟!

وكما قال غضيف بن الحارث الثمالي:" ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة، فتمسُّكٌ بسنةٍ خير من إحداث بدعة."

وقال ابن عباس: « لا يأتي على الناس زمان إلا أحدثوا فيه بدعة ، وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع ، وتموت السنن »

وقَال ابن مسعود َ: كَيْفَ بِكُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَتُتَّخَذُ سُنَّةً ، فَإِنْ غَيَّرْتَ يَوْمًا قِيلَ: هَذَا مُنْكِرٌ ، وَقَالُوا: وَمَتَى ذَاكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: ذَاكَ إِذَا قَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ ، وَقَلَّ فُقَهَاؤُكُمْ ، وَكَثُرَ قُرَّاؤُكُمْ ، وَتُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ "

وهنا قد يقول قائل من هؤلاء القراء أو من غيرهم: (إن هذه التلاوة والتواشيح بدعة حسنة، وفي الحديث:" من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها.)

والجواب : أن البدعة كلها ضلالة لقوله ﷺ "كل بدعة ضلالة"، ولفظ (كل) من ألفاظ العموم؛ فيشمل جميع أصناف البدع في سائر أحكام الدين وأبوابه كماهو مقرر في علم أصول الفقه .

فليس في الإسلام بدعة حسنة إذ معنى ذلك أنها عبادة حسنة، ولم يعرفها النبي ﷺ ولا أصحابه لأنهم لم يفعلوها حتى جاء من بعدهم من أهل البدع؛ ففعلوها ولو كانت خيراً (حسنة) لدلنا عليها النبيﷺ بقوله أو فعله أو تقريره؛ فتأمل هذا الجواب، فإنه نافع بإذن الله في رد سائر البدع.

ثانياً: ليس في الحديث المذكور أن البدعة تكون حسنة قط، وإنما الحديث فيه الترغيب في العمل بالسنة ونشرها بين الناس، فمن عمل بالسنة ثم اقتدى الناس به في هذا العمل فله أجره وأجر من عمل به من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ودليل ذلك: سبب الحديث ومناسبته التي قيل فيها، وهذا نص الحديث من صحيح مسلم: "عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺفِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَال : فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، {إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: {اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ} «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ "

وفي رواية أخرى عنه أيضاً قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمِ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَأَبْطَئُوا عَنْهُ

حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ".

وهنا أقول: هل الصدقة بدعة في الدين لم يأمر بها الإسلام، فاخترعها هذا الصحابي أم أنها مما أمر الله به ورسوله فطبقه الرجل عندما تقاعس الناس (وأبطئوا) فلما رأوا فعله اقتدوا به في السنة التي رغبهم فيها النبي ﷺ ؟

فالرجل هو الذي أحيا الهمة والحماس في قلوب الصحابة، ففعلوا مثله وسارعوا من بعده للصدقة؛ فليس في الحديث ذكر للبدعة أصلاً .

فظهر بذلك بطلان استدلال أهل الأهواء بهذا الحديث والحمد لله رب العالمين .

ومن الشبه قولهم: إن التلاوة قبل صلاة الفجر والتواشيح تساعد الناس على الاستيقاظ لصلاة الفجر وليست من البدع .

وهذه الشبهة قد سبق الجواب عنها إذ لو كانت التواشيح والتلاوة خيراً يعود على الناس بالنفع والصلاح في دينهم لدلنا عليه النبي ﷺ أو فعله أصحابه من بعده فهم السابقون لكل خير وما ترك الأول للآخر شيئاً، والعبادة مبناها على التوقيف، فلا يجوز الزيادة فيها ولا النقص منها .

وهذا الكلام معناه أن الناس لا يصلح حالهم إلا بالابتداع في الدين وهذا باطلٌ لأن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فيهما الهدى والكفاية عن البدع والمحدثات كما قال الإمام مالك : "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها فما كان يومها دينا فهو اليوم دين وما لم يكن ديناً فليس اليوم بدين "

ومن شبهاتهم قولهم "التواشيح والتلاوة قبل صلاتي الجمعة والفجر من توجيهات ولاة الأمور وهي شعائر للصلوات ويجب طاعة ولاة الأمور"

والجواب : إن طاعة ولي الأمر لا تكون في المنكر، وإنما الطاعة في المعروف كما قال النبي ﷺ وفي الحديث أيضاً: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة "، وقوله : "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق "، فطاعة ولي الأمر مقيدة بالمعروف وهو ما أمر الله به ورسوله، فإن أمر ولي الأمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة في هذه المعصية ولا يترع يداً من طاعة .

ومن المعلوم أن الذين يقومون جهاز (الراديو) وضبطه على التواشيح والتلاوة ونحوه لا دخل لهم بولي الأمر ولا غيره، وإنما يفعلون ذلك من جهلهم أوبدعتهم وهما متلازمان .

فلا داعي للتشغيب بمسألة ولي الأمر؛ فإن الذين ينشرون هذه البدع من أكثر الناس تهييجاً على ولاة الأمور، وإنما يقولون هذا الكلام من باب ذر الرماد في العيون، فلا يجوز لمسلم أن يُشغِّل هذه التواشيح والتلاوة، فمن فعل ذلك فهو مبتدع يسعى في طمس السنة ونشر البدع .

ومن شبهاتهم قولهم: " قراءة القرآن من أفضل الأعمال وأحبها إلي الله تعالى وأنتم جعلتموها بدعة من البدع "

والجواب : هذه الشبهة من أعظم شبهاتهم وجوابها سهل ميسور:

فقد بين لنا النبي ﷺ كيفية ومواضع تلاوة القرآن الكريم، فلم يرد عنه أن تكون التلاوة قبل صلاة الفجر أو الجمعة أو غيرها من الصلوات، فهل أنتم أعلم من رسول الله بأفضل الأعمال وأحبها إلي الله ؟؟! ، ولم يرد عن الصحابة فعلها، فتلاوة القرآن من أفضل الأعمال لكن وقتها وكيفيتها بدعة، قال حذيفة ﷺ :" كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول اللَّه ﷺ فلا تعبدوها ؛ فإن الأول لم يدع للآخرِ مقالاً ، فاتقوا اللَّه يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم » .

رواه أبو داود .

ثانياً : لكل عمل من الأعمال الصالحة موضعه الذي ورد في الكتاب والسنة فهل يجوز تلاوة القرآن في الخلاء ؟ وهل يجوز تلاوة القرآن في الركوع أو السجود أو التشهد ؟ لا شك أن هذه المواضع لا يجوز تلاوة القرآن فيها لأنه لم يرد عن النبي ﷺ فعله، وكذا لا يجوز تلاوة القرآن بهذه الطريقة البدعية قبل الصلوات لأن النبي ﷺ لم يفعلها، ولا أمر بها، والله جل وعلا يقول: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }

وعَطَسَ رَجُلٌ عند ابن عمر، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى رَسُولِهِ، فَقَالَ ابن عمر: " لَيْسَ هَكَذَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، عَلَّمَنَا أَن نَقُول " الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ "

فهذا يدل على قاعدة عظيمة وهي أن العبادة مبناها على التوقيف يعني على الدليل من الكتاب والسنة، وليس على الآراء والأهواء أو الأذواق والاستحسان.

فرحم الله عبداً اتبع الكتاب والسنة وترك البدع والأهواء؛ فمن فعل ذلك فقد نجى، ومن أسلم نفسه للأهواء والبدع، فقد هلك .

وأخيراً يستدل بعض الجهال على صحة التواشيح وقراءة القرآن قبل صلاة الفجر بقوله تعالى: "وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا "

وهذا جهل منهم بكتاب الله وتفسيره، وقد أجمع المفسرون على أن معنى الآية إنما هو في القراءة التي يقرؤها الإمام في صلاة الفجر، فهي مشهودة، تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار.

قال الإمام ابن جرير الطبري –رحمه الله –:" وأما قوله: (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) فإن معناه: وأقم قرآن الفجر: أي ما تقرأ به صلاة الفجر من القرآن، والقرآن معطوف على الصلاة في قوله(أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) .

وكان بعض نحويي البصرة يقول: نصب قوله(وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) على الإغراء، كأنه قال: وعليك قرآن الفجر(إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) يقول: إن ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان مشهوداً، يشهده فيما ذكر ملائكة الليل وملائكة النهار.

وبالذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل وجاءت الآثار عن رسول الله ﷺ."

وقال الحافظ ابن كثير– رحمه الله– :

"{ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } قال الأعمش، عن إبراهيم، عن ابن مسعود ،وعن أبي صالح، عن أبي هريرة،ﷺ ، عن النبي ﷺفي هذه الآية: { إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } قال: "تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار".

وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَر، عن الزهري، عن أبي سلمة، وسعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر". ويقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم:{ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا }.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسباط، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ، وحدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في قوله: { وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } قال: "تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار".

ورواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ثلاثتهم عن عُبَيْد بن أسباط بن محمد، عن أبيه، به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وفي لفظ في الصحيحين، من طريق مالك، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: " يتعاقبون فيكم ملائكة الليل وملائكة النهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر، فَيَعْرُجُ الذين باتوا فيكم فيسألهم –وهو أعلم بكم –كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون".

وقال عبد الله بن مسعود: يجتمع الحرسان في صلاة الفجر، فيصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء. وكذا قال إبراهيم النَّخَعي، ومجاهد، وقتادة، وغير واحد في تفسير هذه الآية."

ومما سبق تعلم أيها القارئ الكريم أن هذه التلاوة والتواشيح (الابتهالات)من البدع المحدثات؛ فيجب على كل مسلم أن يحاربها، وأن يسعى في نشر السنة وإحيائها، وذلك بعدم تشغيل هذه البدع قبل الصلوات خصوصاً صلاة الفجر أو صلاة الجمعة، ونصيحة من يقومون بهذا العمل وبيان بدعيته لهم.

ويجب على أئمة المساجد وطلاب العلم توعية الناس بحرمة هذه الأفعال المبتدعة وإزالتها من المساجد؛ فالبدعة تفسد الأعمال وتضيع ثوابها والبدعة مردودة على صاحبها، وفي اتباع السنة الخير والصلاح كله كما قال عبد الله بن مسعود:" اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة، وكل بدعة ضلالة ."

ولك أيها المسلم في رسول الله أسوة حسنة فلم يكن يفعل شيئاً من ذلك ولا أمر به، والله جل وعلا يقول: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }، ويقول:

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}، ويقول: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا } .

والله وحده الهادي إلي سواء السبيل، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد والحمد لله رب العالمين .